المحاضرة رقم :05

الحداثة الشعرية :01

السنة الثانية

دراسات أدبية

الأستاذ:موسى مبرك

الحداثة الشعرية : تعني الحداثة الجِدَّة التي هي نقيض القِدم،و هي أيضا أول الأمر و بدايته و وقوعه و الحديث هو الخبر الجديد .تلك هي بعض الدلالة المعجمية لمفردة الحداثة.

و التحولات التي شملت المسيرة الشعرية و النقدية العربية مسَّت جوهر الحداثة،فقد عرف الشعر العربي شعراء رفعوا راية التجديد في هيكل القصيدة الجاهلية على رأسهم (بشار بن برد و أبو نواس) بعدها اتجه الشعراء إلى الغموض كما فعل (أبو تمام) هذا على مستوى المشرق العربي.أما على مستواه الغربي فقد تجلى ذلك في ظهور الموشح الأندلسي و في العصر الحديث تأثر بعض الشعراء بالأدب الغربي فظهر الشعر المرسل عند (عبد الرحمان شكري) و (جبران خليل جبران) في تجديده و غيرهما ثم جاء شعر التفعيلة على يد (نازك الملائكة) و (بدر شاكر السيّاب) و أخيرا برزت الحداثة عند بعض الشعراء كأدونيس و يوسف الخال و محمود درويش.

لقد أحدث مصطلح الحداثة جدلا واسعا،نتج عن ذلك وجود تيارين متصارعين بين مؤيد و معارض.

الحداثة الشعرية عند أدونيس :

الحداثة عنده تتضمن الرفض والتمرد لتتخلى عن القديم و التقليد و الأصول و الجذور و المعايير الثابتة فالحداثة عند أدونيس لا تنشأ مصالحة و إنما هجوما،تنشأ إذن في خرق ثقافي جذري و شامل لما هو سائد.هذا يبدو تأثره بالحداثة الغربية واضحا سواء لماهية الشعر أو للغة الشعر أو إبقاء مصطلح الحداثة حاضر في فكر أدونيس.

الشعر عند أدونيس هو رؤية،و منها تحصل المعرفة و منها تحصل المعرفة إنها الكشف و النظرة التي تخترق الزمان و المكان إلى ما وراءهما.

إن الشعر الذي تؤسسه الحداثة هو شعر يؤثر و لا يتأثر يغير الواقع أي يتجاوزه إلى واقع أفضل يشكله الشعر.

و الحداثة الشعرية عنده أيضا تكمن في اللغة الشعرية التي تقيم علاقات جديدة بين الإنسان و الأشياء بين الأشياء و الأشياء،بين الكلمة و الكلمة أي حين تقدم صورة جديدة للحياة و الإنسان.إنها لغة الخلق فاللغة الشعرية هي لغة إشارة

و إيحاء و تساؤل و احتجاج فالكلمة في اللغة الشعرية هي كائن آخر عجيب يحمل الكثير من الدلالات،و لكل شاعر لغته الخاصة هي تجربته الشعرية.

كما أن الحداثة عند أدونيس أن يتحرر الشاعر من الإيقاع القديم المتمثل في الوزن و القافية فهي تملك إيقاعا خاصا لا يلتزم بأي قالب موسيقي خارجي جاهز و إنما يستجيب لحركة النفس و يواكب تجربة الحياة الجديدة كما ارتبطت الحداثة الشعرية بالغموض فعنده قراءة الشعر تقتضي قدرات و مواهب و معرف عميقة فجمال القصيدة يتجدد مع كل قارئ جديد و متميز.

مظاهر الحداثة الشعرية عند أدونيس :

إن محاولة الارتقاء التي بادر بها (أدونيس) لتجديد الشعر كانت و لازالت مهمته الأولى،و لا شك أن مظاهر الحداثة في شعره هي التي تعكس مفهومه للتجديد و تترجمه و هي على مستويين:

أولا :مستوى الشكل :يقول أدونيس : "الإشكال و بقدر ما تتعدد الصور و تتنوع،تكشف عن غنى الرؤيا و عن غنى العالم الذي تكشفان عنه الذي تكشفان عنه،و قلة هذه الصور دليل عن فقرها و فقر العالم الذي تكشفان عنه" فعند (أدونيس) الشعر الجديد يعني بالضرورة شكلا جديدا،و الشكل هو الصورة المتحددة للعمل الفني المحدد،فلا قاعدة مسبقة أو معايير جاهزة للشكل انطلاقا من عنصر المحايثة فهو كثرة لا وحدة،لا نموذج له ولا حد يقف عنده و هنا نقف عند بعض المظاهر التي تعد تجديدا شكليا في القصيدة.

أ/التجديد في اللغة : (الانزياح اللغوي)

كانت الكلمة محددة بمعان ووظائف واضحة و جاء (أدونيس) فاغتال المعنى الواحد للكلمة و حررها و أعطاها الإمكانية لتحمل أكثر من معنى و مفهوم ووظيفة و ابتغى أن يخرج من الخطاب الذاتي الشعري المباشر و أن يتحدث عن عالمه بلغة رمزية موضوعية و عن هذا يقول :

كم قلتُ: جئت بلا طقوسٍ
.ووهبت نفسي للجموح، لكلّ رفضٍ
كم قلت: أخرق هذه اللغة الأمينة للأصولِ،
أرجُّ قاعدة الأصول

لقد أتيح لأدونيس من خلال محاولاته تطويع اللغة إلى حد إخراجها من قوالبها العقلانية.

ب/هيكل النص الشعري :

لا يعرف هيكل القصيدة شكلا معينا محددا بل نراه يعمد إلى اللعب الشكلي الخطي فالقصيدة لا تستريح عنده في "لكل قصيدة قانونها فالقصيدة ليست موجودة في الفراغ،ليضع الشاعر فيها كلامه،الشكل محايث للتجربة فكل عمل ابداعي له شكله،فلا شكل في المطلق".

فقد يكتب من ناحية اليمين حينا،ثم يكتب جزءا منها في الوسط حينا آخر،ثم نراه ينتقل جهة اليسار فالفوضى لديه هي بديل النظام بل هو القائل :

بَابِلُ جِئنَا

نَبنِي مُلكا آخر جئنا

نُعلِن أنَّ الشِّعر يقين

و الخَرق نِظَام

فالخرق و عدم الالتزام هما النظام عنده .

ج/تقطيع القصيدة إلى أجزاء :

صفة المقطعية لازمة في قصائده ليحذف اللازمة و يعوضها بأرقام أو ببياض و هذه المقاطع لا تتساوى في عدد أسطرها فمنها الثلاثة أو الأربعة و منها ما يزيد أو يقل و تعد قصيدة (أوراق في الريح) مثالا لتقطيع القصيدة إذ تتجزأ إلى تسع و خمسين مقطعا شعريا

-35-

يا وجهَ الممكن ، وجهَ الأفُقِ

...غيَرْ شمسَك ، أو فاحترقِ

-36-

أعمقُ أن أغيبا

أن أسكنَ الغريبا ،

.لكي أصوغَ شكلَ السؤال، أو أجيبا

-37-

هذا الجيل الطالع بعدي مثلَ هدير الأشياءِ

هذا الجيل وقفتُ عليه كل غنائي
لم يُولد بعد، ولكن ها هو ينبض في أعماق الوطن

د/التكرار في القصيدة :

صفة التكرار ملازمة لشعره ،فهو يلجأ إلى استخدامه.و التكرار ليس له وجه خاص فأحيانا يكون في بداية الأسطر و أحيانا في نهايتها.

أ-تكرار الحرف :كتكراره لحرف الجر (في) في الأسطر الستة ما قبل السطر الأخير من قصيدته(مزمور)

ب-تكرار الكلمة : تكرار اسم (الضياع) في قصيدته الضياع أما تكرار الفعل (ألمع) فكانت في قصيدته (رؤيا).

ج-تكرار جملة أو بعض جملة: كرر جملة "يا زوجتي في الشمس و الجنون"في قصيدته (الصاعقة).

د-تكرار المقطع الشعري: نجد هذا في قصيدة (الرياح المضيئة) إذ يعيد المقطع الذي بدأ به القصيدة في ختام القصيدة

أَلرياحُ التي تُطفئُ ، الرياحُ المضيئةْ
.لم تزل خلفَنا بطيئه

هـ/تقزيم القصيدة:لم تعد القصيدة عنده من المطولات فقد غدت عنده تتطور من سطرين أحيانا كما هي عليه في

قصيدته (سفر)

مسافر دونما حراك
يا شمس، من أين لك خطاك ؟

و/الصمت اللغوي :وهو التعبير بطرق أخرى عوضا عن اللغة يتمظهر ذالك غالبا عند أدونيس في ثلاثة مستويات هي:

- ✓ النقط الممتدة :و قد تكون في أول السطر أو في نهايته.
- ✓ الخط :و يأتي في شكل مطة في أول السطر أو في آخره.
- ✓ البياض: و هو مساحة بيضاء تأتي في أول السطر أو في نهايته.

و ظاهرة الصمت اللغوي هي محاولة منه لإشراك القارئ في انتاج دلالة النص الغائبة الممثلة بالصمت الذي يسكن النص و الذي لم تستطع اللغة التعبير عنه.

ثانيا:على مستوى المضمون:

لم تقف ثورة (أدونيس) التجديدية عند هيكل القصيدة بل تجاوز ذلك لتشمل معانيها و مضمونها و لعل أبرزها:

أ/تغييب المعنى و خلق الإبهام :

يقول أدونيس:"إن إفراغ الكلمات من محتواها القديم ضروري لكتابة قصيدة جديدة،لأن ذلك يخلق علاقات جديدة بين الكلمات و الأشياء و بذلك تنتج معان جديدة لذا فإن غياب الدلالة غياب الدلالة أو المعنى في شعر الحداثة العربية المعاصرة واحد من مظاهر الإبهام الدلالي فيه.و هنا يبرز مصطلح معنى المعنى.

ب/تجلي الصوفية : وَلَعَ بالصوفية فألَّف كتاب (الصوفية السريالية) و عنده الصوفية هي اللامقول،و اللامرئي و لذا استقى منها استحسان الصور فحاكاها، و استعظم شخوصها ك "ابن عربي" و"النفري" فتمثلها تنظيرا و إبداعا.

ج/استحداث الصور: خلق الصور و استحداثها متأثرا ب "بيار ريفيردي".

د/ابتكار الرموز وتوظيفها :كثرت الرموز عنده فالرمز عنده هو الوجه الأخر للنص أو هو النص اللامرئي أو المحتمل أو أو المخفي. و الرمز هو المنظار الذي نرى به ما وراء النص فأدونيس هو رائد الترميز فهو يكتب شعرا ايقونيا ومْضيا أو ما يُعرَف بقصائد الومضة.

رائد الترميز فهو يكتب شعرا ايقونيا ومْضيا أو ما يُعرَف بقصائد الومضة.

هـ/بروز نزعة الحلم و الاستشراف:هو نزعة التجاوز و الرفض و التمرد و الرغبة في التجديد ففي الحلم تتحطم الحدود المكانية و الزمانية و تصطدم الأشياء ببعضها معبرة عن الهواجس و المطامح .

مرتكزات الحداثة الأدونيسية :

- رؤية متفردة للكون و الإنسان.
- ابتكار أساليب في التعبير.

خصائص الحداثة الأدونسية:

- الرفض و التمرد و الثورة على التقاليد و النظام السائد.
- الاتصال بالتراث و الانفصال عنه في أن واحد.
- إرساء مبدأ التساؤل و الاحتجاج.
- فتح أفاق جديدة للتجارب الشعرية.

مقتضيات الحداثة الأدونيسية :

- الكشف و المغايرة و القبول بالمجهول.
- تجاوز المفاهيم الموروثة.
- معرفة معمقة للحاضر و الماضي.

الحداثة الشعرية عند محمود درويش :

الفرق كبير بين العصرية و الحداثة،فالعصرية موضوع مرتبط بالزمان و الحداثة فعل واع و متجاوز الحياة بشموليتها

و الشاعر محمود درويش شاعر مقاوم رافض لأشكال الظلم و القمع و العدوان ملتزم بقضية الوطن ليغدو الإنسان و الأرض من أهم النقاط الواردة في رؤياه الشعرية.

مفهوم جديد لصورة شعرية تتجاوز الأشكال إلى المعنى حيث تصبح الصورة معيارا للعبقرية الأصيلة،الحداثة عنده لا تعني التدمير لما هو قديم إذ يقول : "لا أعني بالتغيير التدمير أو الإبادة أعني التطوير" فلغة الحداثة عنده متطورة إلى حد بعيد،يبعث الحيوية و الحركة في الأفعال لتأخذ دلالتها و لتعبر عن التغيير و التحول،يقول :

لا , ليس شعراً أن ترى قمرا يُنَقِّطُ خارطه

لا،ليس شعرا أن تُرتِّبَ ذكرياتي السَّاقطة

فانْهَضْ على فَرَسِ الدُّخَانْ

و ارْحَل معي من أجل أُمِّكْ

هنا فعل انهض و ارحل دعوة إلى المقاومة من أجل أُمِّك فلسطين.

الحداثة عنده هو أن يدرس البسطاء الصورة التي يودّ إرسالها عبر شعرياته ليخاطب عقولهم و ليكون مفهوما من قِبَلِهِم دون عناء.

قصائدنا , بلا لون

وإن لم يفهم البُسَطا معانيها

فأولى أن نُذَرّيها

ونخلدَ نحنُ .. للصمتِ !!

تقترن الغاية الجمالية باللغة المباشرة،و البعد عن الغموض ليغدو الشعر أغنية شعبية،الأغنية عنده ينبغي أن تكون لغة البسطاء و الكادحين في دروب الحياة الصعبة القاسية لأن (الجمهور هو السلاح الحاسم في معركة المصير) كما قال.و أوضح ما يمثل هذه قصيدة بطاقة هوية. محمود درويش شاعر الأرض المحتلة.

مراجع المحاضرة :

1-أدونيس: الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإتباع عند العرب الأصول بيروت لبنان، 2006.

2-صلاح فضل :تحولات الشعرية العربية، دار الأدب، بيروت لبنان، ط1، 2002 .

3- عبد السلام المسدي :النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1983.